المحاضرة الثامنة الشّخصيات في المسرح

يتفق أغلب النقاد والمنظرين ** على أن الشخصية هي التي تخلق الحبكة وتصنع الموضوع المسرحي وهي المقوم الأساسي الذي يقوم عليه الحوار المسرحي بل وهي المحرك النابض لتكوين الأزمات وتطوير الصراع، إلا أن أرسطو في كتابه فن الشعر لم يأت على ذكر كلمة شخصية لكنه ذكر "الأخلاق" باعتبارها جزءا من الأجزاء الستة المكونة للتراجيديا [1]، حيث يرى أن المواقف والتصرفات التي تصدر عن الشخصيات هي التي تقوم عليها المسرحية، وليست الشخصية بحد ذاتها. كذلك يرى ويليام آرثر أن الشخصية ما هي إلا مركب من العادات الذهنية والانفعالية والعصبية والمسرحية، لا تقوم بدون فعل ما.

أنواع الشخصيات تبعا لمجالات تحركها :

- شخصية رئيسية
- شخصية ثانوية
- شخصية نمطية"[2].

أبعاد الشخصية:

"تتكون الشخصية الدرامية من ثلاث أبعاد هي:

1- بعد فيزيولوجي (مادي أو عضوي).

2- بعد سوسيولوجي (اجتماعي).

3- بعد سيكولوجي (نفسي).

1. البعد الفسيولوجي(المادي أو العضوي)

يتصل بتركيب جسم الشخصية ذكر أو أنثي ، العمر، الطول، لون الجلد والشعر والعينين وما إلي ذلك من عناصر تكوين هذا البعد المادي للشخصية.فهذا البعد يعطي لنظرة الشخصية في الحياة لوناً معيناً عن غيرها من الشخصيات ويؤثر فيها تأثيراً مباشراً ... فالإنسان ذو الذراع الواحد لابد أن تكون نظرته للحياة مختلفة تماماً عن نظرة الإنسان السليم البنية وكل عنصر من هذه العناصر يضع فروقاً بين شخصية وأخري ويحدد ملامح شخصية عن أخري ويعتبر هذا البعد أوضح الأبعاد الثلاثة في الشخصية لأنه يشكل التكوين الرئيسي لها.

2. البعد السوسيولوجى(الاجتماعى)

هو تحديد نوعية التعليم، الديانة، العمل, الطبقة، الجنسية..الخ. ولابد أن يعتني به المؤلف جيداً حتي يضع يده علي جزء هام من مكونات الشخصية فتحديد نوعية التعليم الذي يتلقاه الفرد وديانته والطبقة التي ينتمي إليها سواء راقية أو متوسطة أو كادحة ونوعية العمل الذي يقوم به ومكانته في المجتمع ، كل تلك المستويات تُعد فروقاً جوهرية بين شخص وأخر .

3. البعد السيكولوجي (النفسي)

هو ثمرة البعدين السابقين فهو الذي يكون مزاج وميول الشخصية ومركبات النقص فيها ولذلك هو الذي يتم الكيان الجسماني والاجتماعي ويحدد المعايير الأخلاقية والحياة الجنسية للشخصية وأهدافها في الحياة وقدرتها على الابتكار والخلق والتجديد.

ولابد من تضافر هذه العناصر معاً لتكوين الهيكل للشخصية حتى تظهر كوحدة واحدة مجسدة فى العمل الدرامي، كما أن الشخصية المسرحية لابد أن تتغير باستمرار لأنه من المحال أن تظل كما رسمها الكاتب من البداية حتى النهاية ، وأي مسرحية جيدة تتطور شخصياتها تطور دائما واضح (مثل

مسرحيات هاملت لشكسبير، بيت الدمية لإبسن) فكل شخصية يصورها المؤلف لابد أن تشتمل في داخلها على بذور تطوراتها المستقبلية"[3].

"ولقد عرف "أرسطو" الشخصية في كتابه " فن الشعر" بأنها الجزء الثاني التالي لعنصر الحبكة ضمن الأجزاء الستة المكونة للتراجيديا وهذه الأجزاء هي الحبكة والشخصية واللغة والفكر والمرئيات المسرحية والغناء[4]، حيث يري "أرسطو" أن الحبكة والشخصية وجهان لعملة واحدة فلا حبكة بلا شخصية ولا شخصية بلا حبكة ، وكذلك يربط "أرسطو" بين اللغة بصفتها الجزء الثالث المكون للتراجيديا والشخصية، فاللغة هي العنصر الذي يعبر عن أفكار الشخصيات من خلال الكلمات. أما الفكر بصفته الجزء الرابع المكون للتراجيديا فيربطه "أرسطو" أيضاً بالشخصية ويعني به القدرة على قول ما يمكن قوله أو القول المناسب في الظرف المناسب المتاح.

ويضع "أرسطو" **مواصفات للشخصية :**

1- الصلاحية الدرامية : لابد أن تكون الشخصية صالحة للقيام بوظيفتها الدرامية بحيث تتسق طبيعتها وفكرها وسلوكها مع مجري الأحداث.

2- الموائمة أو الاتساق النمطي: الذي يقصد به "أرسطو" أن تصدر عن الشخصية الكلمات والحركات والإيماءات التي تتمشي مع طبيعة الشخصية وكيانها وتربيتها وفكرها ... فالشخصية لا تنطق إلا بما تعرفه ولا تتحرك إلا من خلال الدوافع الذاتية المرتبطة بآمالها وآلامها وطموحاتها وإحباطاتها.

3- الصدق الواقعي : يقصد به "أرسطو" ألا تشذ الشخصية عن أنماط الحياة الطبيعية بحيث تتشابه معها وتنبع منها حتى تمتلك خاصية الصدق الواقعي وبالتالي القدرة علي الإقناع بوجودها الطبيعي غير المفتعل.

4- ثبات الكيان: فيقصد به "أرسطو" الشخصية التراجيدية علي وجه التحديد فهي تملك من الثبات ما يجعلها صامدة في وجه التغييرات المفاجئة التي لابد أن تتعرض لها"[5].

لا يقوم الكاتب برسم شخصية في المسرحية صامتة بحدود مقيدة دون حركة أو مواقف كما في الفنون الأخرى ، بل يعطيها رسما حيويا نابضا بالحياة، لأن جوهر الحياة الإنسانية يكمن في العلاقات والمواقف حتى ينتج لنا صراع قوتين متضادتين عن فكرتين مختلفتين ، "فالشخصيات تعبر عن ذلك الوجود الملموس الذي يراه المشاهدون، حيث يتابعون من خلال سلوكاتها وانفعالاتها وحواراتها المعاني التي يحملها الفعل الدرامي، إنها أحد أهم عناصر المسرحية وأقدرها على إثارة اهتمام المشاهد" [6]، حيث لا تقود الشخصية أهدافها كي تدخل عالم الدرامية، بل تعمل على تحقيقها وهي تصارع أهداف ومصالح شخصية أخرى تتعارض معها شكلا ومضمونا.

تعد الشخصيات العنصر المهم بل الأهم، إذ بدونها لا تسمى مسرحية حتى وإن توفرت لنا لكل العناصر الأخرى، وتمكن أهميتها في احتواءها لهذه العناصر كالحوار، الصراع الفكرة والفعل وغيرها، وللشخصية خصوصية تمكن في كونها تتحول من عنصر مجرد إلى عنصر ملموس عندما تتجسد بشكل حي على الخشبة[7]، وتتميز عن سائر الشخصيات في الفنون الأخرى كالقصة والرواية، كونها تمثل نفسها مباشرة عن طريق الحوار أو المنولوج.

إن عملية خلق الشخصية المسرحية بجميع أبعادها ومعطياتها ليس بالأمر السهل ، إذ تتطلب موهبة فذة وخبرة واسعة عند الكاتب، إنه مطالب بأن تكون شخصياته مقنعة في أبعادها وأهدافها وسلوكياتها، البعد الجسماني، البعد الاجتماعي والبعد النفسي، وعلى الكاتب أن يتقصى تفاصيل الشخصيات حتى يتمكن من ربط حواراتهم وصراعاتهم بشكل فني ومبرر، وليس المقصود بالتفاصيل هنا التصريح بل أن تكون خفية هي سطور النص يمكن الإجابة من خلالها عن أي سؤال [8]، "فالكاتب هو

أقرب ما يكون إلى شخصياته لأنه يعرفها تمام المعرفة ويعرف مكامنها، ففي عملية التبسيط والتوضيح يشعر كأننا نعرف شخصيات الم سرحيّ أكثر من معرفتنا للأشخاص الذين تربطنا بهم علاقة وثيقة في الحياة الواقعية "[9]. إنها تعبر عن ذلك الوجود الملموس الذي يراه المشاهدون ، حيث يتابعون من خلال سلوكاتها وانفعالاتها وحواراتها المعاني التي يحملها الحدث الدرامي، إنها أهم عناصر المسرحية وأقد رها على إثارة اهتمام المشاهد، وليس كافيا أن تقود الشخصية أهدافها كي تتوفر على الخصوصية الدرامية إنما من الضروري أن تقودها وهي متناقضة مع أهداف ومصالح شخصية أخرى..."[10]

"إن الشخصية المسرحية هي نموذج للشخصية البشرية الذي لا يكتمل وجودها إلا إذا اكتملت جميع أبعادها، لأن كل شيء في الوجود له أبعاد ثلاثة؛ هي الطول والعرض والارتفاع، ولعل رسم الشخصيات هو من أهم عناصر الدراما، فهو ضمانة لنجاح الكاتب وتمكنه الفني والإنساني إذ عليه كي يرفق في رسم شخوصه أن يتعرف عليهم واحدا واحدا، يعيش معهم في ذهنه ليكشف لكل واحد منهم أبعاده الثلاثة: البعد الفيزيولوجي والسوسيولوجي والسيكولوجي، ونحن إن لم نعرف هذه الأبعاد لا يمكن تقدير قيمة الكائن البشري حق قدره" [11] وعلى الكاتب أن يراعي أبعاد شخصياته الدرامية التي تتآلف بين ما هو جسماني واجتماعي ونفسي؛ أما الأول فهو مرتبط بتركيب الشخصية، شيخ أو شاب، طويل أم قصير، قوي أم هزيل، ذكر أم أنثى...، وأما البعد الاجتماعي فيحوي، العلاقات والمعتقدات والعادات والتقاليد وغيرها من المكونات الاجتماعية التي يجب أن تتفق منطقيا مع حالة الشخصية في حياتها العادية، ليأتي البعد النفسي كنتيجة منطقية من البعدين السابقين، مكونا بذلك المشاعر والأحاسيس والانفعالات.

على المؤلف أن يبحث عن الأجزاء المفقودة من الشخصية حتى يتعرف على كل ما يؤثر فيها من جزئيات بسيطة[12]. ولا بد أن تنقل الشخصية المسرحية الجيدة أحاسيسها ومشاعرها بصورة فريدة،

معبرة بذلك عن ماضيها وحاضرها، وكذا الأسباب التي جعلتها تحمل هذه المواصفات، تعيش حياتها الطبيعية كما رسمها القدر؛ أي شخصية بشرية بكل معنى الكلمة.

وتنبع أهمية الشخصية من كونها محور العمل الدرامي، إذ تتجمع حولها جميع العناصر الأخرى من فكرة وصراع، وغيرهما من العناصر، فهي الجانب المشع الذي يبرز أهداف ومضامين العمل المسرحي، ولهذا يجب أن تكون واضحة في علاقاتها الإنسانية ومظهرها الخارجي، وأن تكون شخصية حيوية، ديناميكية غير جامدة حتى يتوفر التشويق والإثارة كما سبق الذكر، ومن جهة أخرى للكاتب الخيار فيما يتعلق بنفسية الشخصية، فقد تكون ثابتة ومستقرة في أهدافها وسلوكياتها، ويكون هذا عادة في الشخصيات العظيمة والمشهورة، كما قد يجعل الكاتب شخصياته متحولة ديناميكية تتحول من السلب إلى الإيجاب، وهذا النوع جيد بالنسبة للمتلقي بحيث يدرك أن الإنسان ليس كله شر وليس كله خير، وعلى الشخصية المسرحية تحمل في ذاتها تلك النزعة الإنسانية الواسعة.

إن عملية خلق الشخصيات تعد الجانب الأساسي في العملية المسرحية، أي أنها ذات علاقة تكاملية، كما أن"محاولة إظهار مفهوم الشخصية صعب جدا في المسرح، وإن كل عامل الإدراك يسيطر على القوانين نفسها وعلاقتها تؤثر على نظرية الشخصية" [13]، لأنها تتأثر لا محالة بالواقع الاجتماعي وتحولاته، وأنها في حين من الوقت كانت مقتصرة على محاكاة الطبقة الأرستقراطية، وهذا ما لا نلاحظه في مسرحيات الإغريق التي وظفت الشخصيات لتقوم بنشاط إنساني في نطاق ما يسمح به القانون الذي تسيطر عليه الآلهة؛ أي تتصرف الشخصيات وتسير به الأحداث بمراقبة القدر وعدم محاولة تجاوزه القوانين الأبدية التي لن تسامح مع المخالفين [14]، فالشخصيات في المسرح الإغريقي ذات حرية محدودة إن لم نقل منعدمة، لأنها تسير وفق مخطط الآلهة وضعته الآلهة، أي أنها غير إرادية.

** أمثال أرسطو طاليس، إريك بينتلي، شكري عبد الوهاب، علي أحمد باكثير، ماري إلياس، حنان قصاب وغيرهم.

[1] - أرسطو، فن الشعر، ترجمة شكري عياد، م س، ص 50.

[2] - إبراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار المعارف، 1985، ص88.

[3] - عادل النادي، مدخل إلي فن كتابة الدراما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص42-43.

[4] - أرسطو: فن الشعر، تر إبراهيم حمادة، م س، ص101.

[5] - ينظر، نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، 1996، ص222 – 225.

[6] - إريك بينتلي، الحياة في الدراما، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المكتبة العصرية، بيروت، 1968، ص 65.

[7] - ماري إلياس، حنان قصاب، المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض، مكتبة لبنان ناشرون، ص219.

[8] - ينظر علي أحمد باكثير، في المسرحية من خلال تجاربي ، مكتبة مصر، ص 75.

[9] - فردب ميلت /جرالداديس بنتلي، فن المسرحية، م س، ص 442.

[10] - إريك بينتلي، الحياة في الدراما، ترجمة جبرا إبراهيم حسن، المكتبة العصرية بيروت 1968 ص 65.

[11] - م ن، ص 50.

[12] - ينظر شكري عبد الوهاب، النص المسرحي، م س، ص 66.

[13]- Anne Ubersfeld, lire le théâtre, Edition sociales, paris, 1982, p133.

[14] - ينظر، بوشيبة عبد القادر، مسرح علولة مصادره وجمالياته، م س، ص294.